وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

نقد الواقع الاجتماعي عند الشاعر الاحنف العكبري

بحث قدمه الطالب

محمد جواد حسين

إلى مجلس قسم اللغة العربية بكلية الآداب وهو جزء من متطلبات
نيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها

إشراف

أ.م.د. ضفاف عدنان الطائي

١٤٤٥ ٢٠٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل اعملوا

فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

التوبة :١٠٥

شكر وتقدير .....

تتوارى كلمات الثناء خجلا تقديراً لعطائكِ
ومجهوداتكِ التي كبرت وتسامت بفضل الله ثم بتعاونكِ

جزيل الشكر والإمتنان لكِ
الأستاذة الدكتورة
ضفاف عدنان الطائي

هنيئاً لنا بكْ وهنيئاً لكِ روعة العطاء

قائمة المحتويات٨

ت	الموضوع	رقم الصفحة
١	الآية القرآنية	أ
٢	الاهداء	ب
٣	شكر وتقدير	ت
٤	المقدمة	١
٥	التمهيد	٢-٥
٦	المبحث الاول	٦- ١٩
٧	تعريف الأحنف العكبري	٦-٨
٨	اقوال العلماء فيه	٨-٩
٩	الكدية لغة واصطلاحا	١٠-١٢
١٠	النزعة النقدية	١٣-١٤
١١	الفخر	١٥
١٢	المديح	١٦
١٣	الحكمة	١٧
١٤	شكوى الحال	١٨
١٥	ذم الزمان (النقد الاجتماعي)	١٩
١٦	المبحث الثاني	١٩-٢٠
١٧	الالفاظ	٢١-٢٣
١٨	الصور المبنية	٢٤-٢٨
١٩	الخاتمة	٢٩
٢٠	المصادر والمراجع	٣٠

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وال الطيبين الطاهرين

اما بعد ...

فقد وقع اختياري على دراسة شعر الاحنف العكبري احد شعراء العصر العباسي ولما كان نتاجه الشعري كبيرا تم دراسة جزئية القيمة الفنية تمثلت بالنقد الاجتماعي وذم الزمان لآنه كان يعيش في واقع متذبذب بين غنى فاحش وفقر مرقع لذلك اعتمدت على منهج البحث والاستقصاء والوصف والتحليل الفني لنماذجه موضوعة البحث من حيث غايته بالألفاظ والمعاني وبناء الصور الشعرية بما يتلاءم والحاجة الى ايصال الفكرة التي جالت بخاطره كثيرا (ذم الفقر)

وهناك دراسات قد سبقت الى ذلك منها ((السخرية في شعر الاحنف العكبري دراسة تحليلية نفسية ، ظاهرة الاغتراب المكاني والزماني في شعر الاحنف العكبري دراسة أدبية))

وقم تم البحث الى مقدمة لبيان آلية البحث والتمهيد قد شمل العصر الذي عاش فيه الشاعر وهو العصر العباسي

ثم المبحث الاول تضمن دراسة (حياة الشاعر الاحنف العكبري ،اقوال العلماء فيه، الكدية لغة واصطلاحاً ،النزعة النقدية ، الفخر ،المديح ، الحكمة،شكوى الحال ،ذم الزمان)

والمبحث الثاني درست فيه (الالفاظ المستخدمة و الصور المبنية)

وانتهى البحث بخاتمة تضم اهم النتائج الذي توصلت اليها بعد دراسة حياة الشاعر وشعره ثم قائمة لأهم المصادر التي اعتمدت عليها في الدراسة وختاماً ارجو اني قد وفقت في عملي هذا واخر دعواتي

الحمدلله رب العالمين .

التمهيد

العصر العباسي

عباسيون هم ثاني السلالات من الخلفاء ٧٥٠-١٢٥٨ م. وقد كان مقر الخلافة العباسية منذ ٧٦٢ في بغداد، ٨٣٦-٨٨٣ ثم ٨٩٢ في سامراء وتعرف هذه الفترة بالعصر العباسي العراقي وفيه كانت عظمة الدولة [١]، كما اطلق عليها المؤرخون روما العرب وازدهرت المعالم الحضارية لدى العرب والمسلمين، وكان اتساعها العسكري ضئيلا مقارنة بالنفوذ الاقتصادية العالمية لها وتبعية عدة سلالات لها الى ان هذا اضعف من مركزية الدولة في كثير من الفترات لكنه ساهم بإنقاذها ، بلغت قوة الدولة أوجها و عرفت العلوم عصر ازدهار في عهد هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩) الذي تولت وزارته أسرة البرامكة (حتى سنة ٨٠٣) ثم في عهد ابنه عبد الله المأمون (٨١٣-٨٣٣) الذي جعل من بغداد مركزاً للعلوم و رفع من مكانة المذهب المعتزلى حتى جعله مذهباً رسمياً للدولة. ويعد العصر العباسي الاول أزهى عصور الدولة العباسي ورغم ذلك فقد توقفت فيه الفتوحات الإسلامية الكبيرة ويرجع هذا إلى عدة أسباب منها انشغال العباسيين بالصراعات الداخلية مع العلويين في العراق والحجاز ومع الأمويين في الأندلس بالإضافة إلى الصراع المستمر مع الخوارج . ولا يكاد يوجد غزو أو فتوحات مهمة سوى فتح عمورية في بلاد الروم بقيادة المعتصم ، وفتح صقلية بقيادة الفقيه القائد أسد بن الفرات ، بالإضافة إلى فتح بعض الثغور والقرى الصغيرة في العمليات العسكرية التي كانت تسمى بـ «الصوائف والشواتي».

بدأ العصر العباسي [٢] أصلا بثورة أزاحت الأمويون من الحكم. وأول ثورة كانت هي ثورة القائد الذي ينتمي للأسرة العباسية وهو أيضا عم السفاح والمنصور ألا وهو عبدالله بن علي وبعد القضاء على تلك الثورة تمبر وتغطرس القائد الذي بعبئه قامت الدولة العباسية وهو أبو مسلم الخراساني وبعد مقتله على يد الخلفاء العباسيين قام الفرس بعدة ثورات ضد الخلفاء العباسيون

---

[١] اسلام اون لاين _ المصدر الالكتروني - الدولة العباسية

[٢] شوقي الضيف _ العصر العباسي ___ الناشر دار المعارف بمصر -١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج .م .ع . ص ٢١٩_ص ٢٢٥ _ ص٢٢٦

كما قاموا إباضية عمان بالانفصال عن جسد الدولة [1]وتكررت الثورات وأشهرها:

١. ثورة الرستميين الإباضيين بقيادة عبدالرحمن بن رستم بتونس
٢. ثورات الأدارسة بالحجاز واليمن والمغرب وطبرستان
٣. الثورة العبيدية الفاطمية وغيرها الكثير والكثير

ومع استقرار الدولة [2]بدأت تظهر نتائج الحضارة الإسلامية في العلوم والمعارف والفنون وقد كان في العصر العباسي العديد من العواصم والمدن الكبرى إشعاع حضاري وعلمي ذو بريق، ومنها مكة والمدينة بالحجاز، والفسطاط والإسكندرية في مصر، وفاس والقيروان بالمغرب، وحلب ودمشق في الشام، ومدن ما وراء النهر كبخارى وطشقند وخوارزم وسمرقند، ونيسابور في خراسان، وأشبيلية وقرطبة في الأندلس، بالإضافة إلى بغداد عاصمة الخلافة. ولقد بقيت الموضوعات المألوفة من مدح وغير مدح وهجاء تسيطر على الشعر والشعراء ، وكأنما كان هناك إصرار قوى أن تظل للشعر العربي شخصيته وموضوعاته وأن يظل حينا على الألسنة مع حياة الأمة فلا يضعف ولا يذوى عوده ، بل يقوى ويزدهر ، غير متحول عن أصوله مهما غذته الثقافات الفلسفية وغير الفلسفية ومهما عبر عن الحضارة العربية الحديثة فهو موصول دائما بقدميه ، شأنه في ذلك شأن الآداب الحية التي لا تنقطع صلتها بماضيها ، العصر العباسي أن الشعراء استحدثوا فيه فن الشعر التعليمي وأن أبرع من استخدمه أبان بن عبد الحميد ، فقد نظم فيه كليلة ودمنة في نحو أربعة عشر ألف بيت ، والأحكام الفقهية المتعلقة ببابي الصوم والزكاة وسيرتى أرد شير وأن وشروان كما نظم قصيدة في مبدأ الخلق ضمنها شيئا من المنطق . وظل هذا الفن قائما بعد أبان كما ظل ينمو عند بعض الشعراء ، وفي مقدمتهم على بن الجهم وابن المعتز وابن دريد . أما الحياة الاجتماعية أن موجة المجون ظلت على تفاقمها وحدتها في هذا العصر ، وظل معها شرب الخمر المعتقة ، وكانت حاناتها تكتظ بها الكرخ في بغداد ودور النخاسة والبساتين كما كانت تكتظ بدنانها وكؤوسها الديارات . وكان سقاتها أخلاطا من النصارى والمجوس واليهود ، وأقبل يعبثُها المجتان والفساق وكان منهم المتمرد على الدين الحنيف ، ومنهم المجوسي ، ومنهم من لا يؤمن بأي دين ، فأكبوا عليها جميعا ، دون رادع أو وازع ، ويفيض كتاب الأغاني بأخبارهم ، وكذلك كتاب الديارات للشابشتى ، حيث يتوقف مع كل دير ليترجم لماجن كبير مثل الحسين بن الضحاك وأبى الشبل البرجمي وعبد الله بن العباس الربيعي، وغيرهم ممن كانوا يعكفون على الشراب في الأديرة وغير الأديرة ، وممن عاشوا سكارى لا يفقمون إلا لكي يعودوا إلى الشراب والمجون ، وهم في أثناء ذلك يصفون الخمر والنشوة بها وكؤوسها ودنانها

---

[1] المصدر الالكتروني (اسلام اون لاين) الدولة العباسية
[2] العصر العباسي _ د. شوقي ضيف _ الناشر دار المعارف بمصر -١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ، ج .م .ع . ص ٢١٩_ص ٢٢٥ _ ص٢٢٦ _ص ٢٤٦

أما الحياة الاقتصادية [1] في العصر العباسي كانت بغداد في العصر العباسي تعد العاصمة الاقتصادية للعالم أجمع، حيث كان الخلفاء يقومون بتحصيل الإيرادات، وذلك من خلال العديد من الأمور كجبي الضرائب، والغارات العسكرية التي كانت تشن على الأراضي البيزنطية خصوصاً، وكانت التجارة تلعب دوراً هاما جداً في نمو الإمبراطورية والسكان، حيث كانت تبيع أسواق العاصمة بغداد العديد من البضائع من مختلف الدول كالصين، وأوروبا، وأفريقيا، روسيا، ومن الأمور التي كانت تميزها أن المدينة تم تشييدها بحيث يكون لكل شارع حرفة معينة أي سوق خاص بهذه الحرفة الأمر الذي يؤدي إلى تفاعل المشتري والبائع، وكانت تحتل العاصمة بغداد المراكز الأولى لغربي الصين لإنتاجها الورق وبيعه، بالإضافة إلى أنها كانت منبع كل من المؤسسات الحديثة والمالية والخدمات المقدمة كالبنوك، والشيكات والأسواق التي كانت تقوم بصرف العملات.اما العوامل التي أدت إلى النمو الاقتصادي في العصر العباسي فيما يلي أهم العوامل [2]:-

١. الزيادات التي حصلت في النقدية.
٢. القيام بعمليات التطوير والتفصيل من خلال العرض والدوران وذلك من القيام بإنشاء نظام ضريبي خاص بالمؤسسات المالية.
٣. إنشاء مؤسسات خاصة بالقانون وذلك من أجل دعم حقوق الملكية والنمو الذي نتج من الزيادة السكانية والقيام باستيراد العبيد.
٤. -زيادة العمليات المتعلقة بالتصنيع الأمر الذي أدى إلى القيام بتقسيم العمل.
٥. زيادة التجارة والأسواق والأساليب المستخدمة، كالتجارة الإسلامية والتي كانت تتمثل في التجارة الإقليمية والدولية وحركة البضائع التي تتم بين المسلمين وغيرهم إلى ومن الأراضي التي كانت تخضع للحكم الإسلامي في العصر العباسي وذلك من خلال القيام باستخدام الطرق البرية والبحرية.

إن الأعمال التي قام بها العباسيون لتحسين الاقتصاد في ما يلي أهم الأعمال [3] :

مراقبة الأحداث بصورة قريبة التي تحصل في كل من بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين . التأثير في الإمبراطورية وذلك بشكل دولي من خلال التأكيد على عضوية المؤمنين داخل الدولة بدون الأخذ بالجنسية العربية، وكان ذلك بسبب الدعم الذي تم تقديمه من المتحولين الفرس. أخذ العديد من الأمور كتقاليد الحكم الفارسية أو ما يطلق عليها بـ"السانيسية". دعم كل العديد من الأعمال كالتجارة والصناعة بالإضافة إلى الفنون والعلوم وخاصة في عهد كل من المنصور وهارون

---

[1] روان مني مصطفى _ المصدر الالكتروني ، الحياة الاقتصادية في العصر العباسي

[2] المصدر الالكتروني (اسلام اون لاين) الدولة العباسية

[3] العصر العباسي _ د. شوقي ضيف _ الناشر دار المعارف بمصر -١١١٩ كورنيش النيل

الرشيد والمأمون حيث ازدهرت الخلافة في الفترة ٧٥٠-٨٣٣. قام العباسيون بتأسيس مدينة بغداد وذلك في عام ٧٦٢م، حيث أصبحت مكاناً رئيسياً للتعلم وفيما يلي بعض الأسباب التي أدت إلى ذلك [٤]وجود مدينة بغداد في موقع مركزي يتوسط كل من أوروبا وآسيا، حيث كانت هذه المنطقة مكاناً بالغ الأهمية للتجارة والقيام بتبادل الأفكار. قيام العلماء في بغداد بترجمة جميع النصوص اليونانية، حيث قام العلماء بعد ذلك بالعديد من الاكتشافات العلمية لذا أطلق على الفترة من القرن السابع إلى القرن الثالث عشر بالعصر الذهبي للإسلام[١]

[١] جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، مراجعة د. شوقي ضيف ، طبعة دار الهلال ، ج ٢

المبحث الأول

أوّلا / تعريف بالأحنف العكبري :-

هو عقيل ابن محمد ابن عبد الواحد ابو الحسن التميمي النهشلي [١] ، وهو شاعر مغمور نشأ وعاش في العراق في القرن الرابع الهجري في أثناء حكم بني بويه (توفي سنه ٣٥٨) ، وهو شاعر عراقي قحٌ من قبيلة تميم العربية التي احتلت مكانا بارزا في التاريخ العربي قبل الاسلام وبعده فهي أكبر قواعد العرب [٢] ولا ريب أن شاعرنا قد احسن بهذا النسب العريق [٣] بل كان من أسباب اغترابه اذا ظهرت المفارقه جلية بين نسبه وحسبه وبين حياته القائمة في أثناء حكم بني بويه الاعاجم ، يقول متمنيا ساخطا وناقلا الينا صورة من صور اغترابه وانسحاق ذاته لكونه عربياً فقد هويته ومكانته في ظل بني بويه :

يا ليتني كنت من انباط دسكرة ولم أكن نهشلياً من بني مُضر

بديرقنىً ولي صفر الدنانير وكنت انسب في أبناء سابور

والأحنف لقبٌ به الشاعر ذلك لعيب في قدميه ، قال ابن المنظور :" والحنف في القدمين : اقبال كل واحد منهما على الأخرى بإبهامها" [٤]ومن خلال قراءه شخصيه الرجل وشعره يتبين لنا أن علة الحنف هذا كانت سبباً قويا في الاغتراب عند الرجل واختلال أعصابه وتشاؤمه ،ولذلك أسرف في ذكرها والالحاح عليها ، فقد اعطت هيئته البشرية منظراً مخيفاً تمجه العين وترفضه طبيعة البشر ، كما عاقته عن تبوء المناصب الرفيعة رغم علمه وثقافته ،وكانت سبباً في عزلته وهجرته للناس ، ومن ثم اضحى رهيناً لحنفه محاصراً في جسده

أحنف الرجلين مُحتقرٍ

ساقطٍ في الناسِ ذي ذئبِ

كُلُّ هجوٍ قيلِ في رَجلٍ

فهو في عِرضي وفي حَسَبي

---

[١] ينظر : يتيمة الدهر للثعالبي ، تحقيق : أ/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ط الثانية ١٩٧٣ م ، ١٧٧/٣

[٢] جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم الاندلسي ، دار المعارف مصر سنة ١٩٦٢م،ص/٢٠٧

[٣] ديوان الأحنف العكبري ، جمع الحسن بن شهاب العكبري الحنبلي ، تحقيق : سلطان بن سعد السلطان ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط الأولى سنة ١٩٩٩م ،ص/٢٦٥

[٤] لسان العرب لابن منظور ،ط دار صادر – بيروت _ ج٩ ، ماده (حنف) ص٥٧,٦٥

لم يرد في المصادر ذكر عن سنة ولادته أو مكانها، ولكن يمكن تحديد محل ولادته بمدينة عكبرا، لورود ذكرها كثيراً في شعره ولها ينسب الشاعر، وعكبرا مدينة صغيرة تقع شرقي نهر دجلة في طريق الموصل، بينها وبين بغداد سبعة فراسخ [1] وقد خرج من هذه المدينة جمع كبير من العلماء منهم ابن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ)، ومحب الدين أبو البقاء النحوي العكبري (ت ٦١٦هـ) ومن خلال سنة الوفاة التي ذكرت في المصادر التاريخية(٣) وهي (٣٨٥هـ)، إذ

يبدو أنها السنة الحقيقية لتاريخ وفاته، وقد ذكر ذلك في شعره بقوله: (من الطويل)

صروف الليالي صيرتني كما ترى. ادب دبيب السخل .. ساعه يولد

والتمس الجدران بالكف والعصا واحبو.... كما يحبو الوليد المبلد

اودي فروضي .. جالسا بمشقة. علي ..وباب البيت للخير موصد

ومن عاش من بعد الثمانين اربعا تمنى ورود الموت والموت اجود

فلا يعتر خلق بعيش شبيبة فليس على الايام خلق يخلد

من خلال هذه المقطوعة الشعرية يبدو أنه عاش حوالي (٨٥) سنة، فتكون ولادته حوالي سنه (٣٠٠) للهجرة ولقد كان شاعر فقير امتهن الكدية بسبب ما به من عاهة ، وكان مثلا في صلاته مع الخلفاء والوجهاء، شانحا بوجهه عنهم، بل كان يهجوهم في بعض الأحيان، ويعود سبب ذلك كما أرى – الى اختلاف المذهب الذي يعتنقه الشاعر وهو المذهب الحنبلي، لاتصاله بكبار علماء هذا المذهب ومنهم ابن بطة، وقد مدحه الشاعر بقصيدة مطلعها: (من مجزوء الكامل)

دمع تحذر في انسيابه من جفن مكتئب لما به [2]

فيكون الأحنف العكبري قد عاصر الدولة البويهية وعمره عشرون عاما، حيث أن ظهور هذه الدولة بدأ في سنة ٣٢٠ هجرية [3] ، فيكون عمر الشاعر وقتها حوالي عشرين عاما، وتعد هذه الحقبة من أكثر الحقب التاريخية التي شهدت صراعا بين القوميات عرباً وكرداً وتركاً وفرسا، وصراعاً آخر بين المذاهب الاسلامية، فحيث أخذ الشيعة حريتهم في إقامة الشعائر الدينية الخاصة بهم في زمن بني بويه، كان السنة على خلاف ذلك، وتعطلت صلاة الجمعة في مساجد أهل السنة، وأقيمت في مسجد براثا الشيعي ، وكان الحنابلة لهم قوة، فقد منعوا دفن محمد بن جرير الطبري سنة ٣١٠ لأنه ألف كتابا في اختلاف الفقهاء ولم يذكر أحمد بن حنبل

---

[1] ديوان الشاعر :١٠٧

[2] ينظر تاريخ بغداد ٣٧١/١٠، البداية والنهاية ٣٢١/١١، طبقات الحنابلة : ١٤٤/٢

[3] السخرية في شعر الأحنف العكبري (ت ٣٨٥هـ) دراسة تحليلية نفسية ،ص٤,ص٥

وكان سبب سكناه ببغداد هو ما به من عوق ومرض ، إذ يقول :

وما سكنت إلى بغداد مفتتحا. باب المعيشة .. من جهل ولا موق

بل عاقني حنف الرجلين عن طلبي. وجه المعاش .. بتغريب وتشريق

بغداد.. دار لأهل المال طيبة وللمفاليس.. دار الذل والضيق

دار النعيم.. ولكن أهلها عدلوا عن العلوم.. إلى سخف وتصفيق

أمسيت فيها مضاعاً بين ساكنها كأنني مصحف في بيت زنديق [1]

ويعزو الشاعر في الأبيات ماضية الذكر بقائه في بغداد الى العاهة التي في رجليه، وان هذه المدينة ليست لأمثاله بل لمن يملك المال والجاه، حتى أن الوضع الاجتماعي أصبح يميل الى الدعة والاسترخاء والطرب والغناء، ولعل ذلك نابع من موقفه الديني لأن الحنابلة قد كسروا أواني الخمر وحطموا الآلات الموسيقية وضربوا المغنين، في ثورة لهم ببغداد [2]، حتى أن التشبيه بين وضعه المزري في بغداد يقدم له مقارنة عقدية، فهو غريب كغرابة المصحف في بيت زنديق متروكا لا يقرأ فيه ولا ينظر اليه ويعلوه التراب . وعلى الرغم من أن الخفاء في عهد بني بويه، لم ينعموا بالبذخ والترف؛ لأنهم حددوا رواتبهم واقتطاعاتهم، وانتقلت الثروة الى يد بني بويه ،وكانت بقية الطبقات العامة من الفلاحين والصناء، وكذلك العلماء والأدباء، فقد كان هنالك تبايناً،

أما اقوال العلماء فيه:

التقى العكبري بالصاحب بن عباد في بغداد وقد أنشده من شعره، وقال فيه الصاحب كما حكاه الثعالبي: "قرأت للصاحب فصلا في ذكره فأوردته، وهو: لو أنشدتك ما أنشدنيه الأحنف العكبري لنفسه، وهو فرد بني ساسان اليوم بمدينة السلام، وحسن الطريقة في الشعر، لامتلأت عجباً من ظرفه واعجاباً بنظمه وقال الثعالبي عنه: "شاعر المكدين وظريفهم، ومليح الجملة والتفصيل فيهم ويبدو أن للشاعر مكانة عند العلماء، فحين مدح ابن بطة وهو صاحب كتاب الإبانة الكبرى وهو من علماء الحنابلة(١)، في قوله: (من الخفيف)

لا تلمني على القيام فحقي. حين تبدو ألا أمل القياما

أنت من أكرم إلبرية عندي .. ومن الحق أن أجل الكراما

فقال ابن بطه للحسن بن شهاب المتوفى سنه (٤٢٨هـ) جامعا ديوان الأحنف العكبري

أنت – أن كنت – لا عدمتك ترعى لي حقاً..... وتظهر لإعظاما

فلك الفضل في التقدم والعلم لم. ولسنا نحب منك احتشاما

فأعفني الان .... من قيامك اولا. فلا جزيك بالقيام ... القياما

---

[1] ديوان الشاعر : ٣٧١

[2] ينظر: تاريخ الاسلام ٤٢٣/٣ .

والعُكْبَري : فنسبة مكانية إلى عكبرا ، وهي اسم بليدة ... بينها وبين بغداد عشره فراسخ [1] والنسبة اليها عكبري وعكبروي [2]، ومما يؤكد اغتراب الشاعر هجاؤه لموطنه واهله فقد عاش بينهم بجسده الا كان غريبا عنهم بروحه وهنا يتحقق الاستلاب والانفصال الروحي مما ينبئ عن ذات منقسمة مستوحشة ساخطة ، وهنا يتحقق الاغتراب بمعناه الحرفي ، يقول الأحنف هاجياً لموطنه واهله. :-

اذا كنت ضيف العكبريين لم تذق

طعاماً ولم تشرب من الماء بارداً

طوى أربعا يعوي ويصبح شارداً

وبت مبيت الذئب في ارض قفرةً

وإن مت محسوداً بهم بت واحداً

وإن كنت جاراً فيهم بت جائعاً

عبيد العصا لم يظفروا بفضيلة

ولم أر فيهم بالحقيقة ماجداً [3]

---

[1] ينظر تاريخ بغداد :٣٧١/١٠، طبقات الحنابلة ١٤٤/٢

[2] ينظر تاريخ الاسلام : ٤٢٣/٣

[3] ديوان الشاعر : ١٠٧

الكدية :-

الكدية لغة :

لم تختلف أغلب المعاجم العربية حول مضمون هذه المفردة، حيث أرجعها أغلبهم إلى الفعل كدَّى ، ومصدره الكدية والتي تعني الشيء الغليظ الكثيف الصعب المنال،

يقول ابن فارس[1]: في معجمه_: الكاف والدال والحرف المعتل أصل صحيح يدل على صلابة الشيء ثم يقاس عليه «والكدية صلابة تكون في الأرض، يقال: حفر فأكدى إذا وصل إلى الكدية ثم يقال للرجل إذا أعطي سيرا ثم قطع أكدى شبه بالحافر يحفر فيمسك عن الحفر. وزعم الخليل أنه يقال أصابت رؤوعهم كادئة وهو البرد وأصاب الزرع بردا وكدأة أي ردة في الأرض، ويقال أكديته أكدية وإكداء إذا رددته عن الشيء والقياس في جميع ما ذكرناه واحد»..

ويذهب ابن منظور المذهب نفسه؛ فيقول - متبعا هذا المفهوم - : «كدت الأرض

تكد كدوا وكدوا، إذا أبطأ نباتها، وكذا الزرع وغيره من النبات ساء نبته، والكدية

والكادية الشدة من الدهر، والكذبة الأرض المرتفعة وقيل هي شيء صلت من

الحجارة والطين، والكدية الأرض الغليظة »

الكدية اصطلاحا :

يبقى المعنى الاصطلاحي هو المحدد الوحيد لدلالة اي مفهوم غير متداول في الخطاب الأدبي ، ولهذا فإن جميع التعاريف تكاد تجمع أن لفظة الكدية تعني التسوّل والاستجداء وسؤال الناس ، وعليه فهي (حرفة السائل الملح) وقد تخرج الكدية عن معناها اللفظي فتتداول في الخطاب الأدبي عموما على مفردات أخرى ، مثل الكداشة ، ولهذا فإن المتتبع لمسار هذا اللفظة يلاحظ أن ظهورها كان موازياً للعصر العباسي ، غير أن هنالك بعض المفردات ظهرت موازية لها ولهذا يقول أحمد حسين [2] : (لم يكن مصطلح الكدية المصطلح الوحيد على حرفة السؤال فقد ظهرت الى جانبه مفردات أخرى هي شحاذة وأصبحت أكثر رواجاً في الاستعمال) [3]

---

[1] لسان العرب ، لابن المنظور ،مادة كد،ص٣٢٤

[2] احمد حسين ،ادب الكدية في العصر العباسي ، الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق ،سوريا

[3] ادب الكدية في العصر العباسي ، قضايا الادب ، المجلد الرابع / العدد

ويعد الجاحظ أول من تطرق الى هذه اللفظة اثناء حديثه عن خالد بن يزيد يقول :

« وهذا خالد بن يزيد وهو خالويه كان بلغ في البخل والتكدية لم يبلغها أحد »

يستطرد الجاحظ فيذكر الوصية خالد بن يزيد لأبنه التي جاء فيها قوله « ان هذا المال اجمعه من القصص والتكدية » ، كما يصف خالويه مستطرداً في حديثه قائلا : « أنا لو ذهب مالي لجلست قاصاً أو طفقت في الافاق كما كنت مكدياً » شهادة نجد إن هذه اللفظة قد اقترنت بالمفهوم الجاحظ ي الذي يعد من أوائل الدارسين الذين تناولوا آداب هذه الفئة المهمشة التي عاشت حالات الفقر والبؤس الشديد فرأت في الكدية المخرج الوحيد لها من هذه الوضعية المزرية .

كما نجد الشاعر المكدي الاحنف العكبري ،يعترف الكدية أصبحت مصدر رزقه وأن الناس يشاركونه في هذه المهنة الخسيسة فيقول :

قد كانت الكدية إقطاعي فاستعصم الناس بأطباعي

قنعت مضطراً لضعف القوى في نيل ما يدركه الساعي

ويقول أبو دلف في قصيدته الساسانية :

ومن كد على كيسان. في السير وفي الجهر [1]

كما تباهى ابن الحجاج البغدادي بخروجه المبكر إلى الكدية والتسول قائلاً :

وقد تناهى امري الى ان بكرت من منزلي اكدي [2]

لعلنا يمكن أن ندرس مضامين أدب الكدية طبعها الاجتماعي في العصرالجاهلي في مفهوم أدب التكسب [3]ويندرج ادب الكدية تحت اغراض عديدة ومضامين متنوعة ، غير غرض الوصف والشكوى من اهم الاغراض الشعرية السائدة في مضامين هذا الادب , لقد برز الوصف كظاهره واضحه في ثنايا كدية واتخذها معظم هؤلاء الشعراء وسيله ببيان فقرهم وجوعهم اليومي من ذلك اورده الاحنف العكبري وهو يصف نفسه وبؤسه وقله ماله قائلاً :

عشت في ذلة وقلة مال. واغتراب في معشر انذال

بالأماني اقول لا بالمعاني. فغذائي حلاوة الآمال

---

[1] الثعالبي ، يتيمة الدهر ،ص ٣٥

[2] المصدر نفسه ،ص٣٩

[3] ادب الكدية في العصر العباسي ،قضايا الادب ، المجلد الرابع / العدد الاول ، ص١٧٤

ويقول ابن الحجاج يصف فقره ويصور حالته :

اصبحت افقر من يروح ويغتدي. ما في يدي من فاقه الا يدي

في منزل لم يحوي غيري قاعدا. فاذا رقدت رقدت غير ممدد

لم يبقى فيه سواء رسوم حصيره. ومخده كانت لام المهتدي

هذا ولي ثوب تراه مبرقعا. من كل لون مثل لون الهدهد [1]

ويذهب ابن سكر الهاشمي الى الافتخار بنسبه الى اصحاب الكدية وانه مضطر الى بيع دينه مقابل رغيف :

رساله من المكد وشاعر وشريف

الى فتى مستبد . بكل فعل ظريف

ولو اسام بديني لبعته برغيف [2]

قد تظهر الكدية في الخطاب الشعري لهؤلاء بصفه غير مباشره ويلصقها الشاعر صفه التهكم والسخرية ، وبعض من الفكاهة المقرونة بشيء من الحمق ومن ذلك قول ابن الحجاج البغدادي يكدي من احد الحكماء عمامة يقول :

يامن له معجزات جود توجب عندي له الإمامة

اذا الشمال وهبت قامت على راسي القيامة

ونمت في القفا عيون بالطول في موضع الحجامة

اظن هذا من اجل انيفي البرد امشي بلا عمامة [3]

---

[1] الثعالبي ، يتيمة الدهر ،ص ٣٥

[2] عبد الهادي حرب ، موسوعة ادب المحتالين ،ص١٩٥

[3] المصدر نفسه ،ص ١١٧

النزعة النقدية :-

يصف الاحنف ذاته بانه شعر واديب وعالم احاط بعلوم الفلسفة والفلك والحكمة لكن سوء طالعه رمى به الى الزمن انصرف اهله عن الالتماس العلم وطلب الادب وناصب والادباء والعلماء المناكدة والاعداء :

اشكو الى الله ما القاه من نفر يرون علمي اذا ذاكرتهم خرفا

ان قلت قولا حكيما قال قائلهم لقمان نصيره من بعده خلفا

متى تمثلت عن فهم وفلسفه سبوا اقراط من جهل وما وصفا

ويبدو ان الاحنف انشغل في مرحله من مراحل حياته بطلب العلم وانقطع عن القراءة والادب فوجدت بذلك ما يغني عن متعه الانس والزاد والشراب فكان يقول :

ومحبرة تؤانسنني بحبر احب الي من اناس الصديق

ورزمه كاغد في البيت عندي احب الي من عدل الدقيق

ولطمه العالم في الخد مني احب الي من شرب الرحيق

وكانت ذروه التحول في رؤيه الاحنف عندما كشف ان القصيدة لا تغني عن الرغيف الخبث وان الشعر لا يقوم مقام الدقيق في البيت المعدة الخاوية اقوى واشد ضرامه من نداء العقل والخيال

رأيت الشعر لا يغني فتيلا اذا ما البيت اعوذ الدقيق

اذا نفذت الدقيق فقدت عقلي ويبقى العقل ما بقي دقيق [1]

[1] شعراء النزعة الشعبية في العصر العباسي ، ص ٦٢

ثم انه تزوجت فيما بعد وصارت له بنت فكان يتمنى موتها اشفاقا عليها ليس كراهية لها ولكن خوفا واشفاقا عليها ان تصير الى زوج لئيم يدلها ويشتم اهلها فيقول:

احب بنيتي ووددت اني دفنت بنيتي في قعر اللحد
وما بي دفنها غرضا ولكن مخافة ان تذوق الذل بعدي
مخافة ان تصير الى اللئيم فيشتم والدي ويسب جدي
فليت الله اسعدها بموت وان كانت اعز الناس عندي

ويشير الاحنف الى الامراض والاوجاع التي ينهك جسده واضعفت قوه فيذكر منها الى جانب عاهه الحنف ضمور الساقين والعمل الذي اصيب في اخريات ايامه وعلى الشيوخ التي انهكت قواها جسديه وتركته عاجزا انقضاء حاجته وتصرف شؤونه الحياتية .

أما شعره فلقد أشار البغدادي وابن الجوزي وأبو الفداء ، الى شعر الاحنف فذكروا انه له ديوان ضخما ولكن مصادر الادب والتراجم ومن بينهم مؤلفات الثعالبي لم تحتفظ الا بماده قليله من شعره لا تزيد في مجموعه مقطعات والنتف الشعرية

اما الاغراض التي طلقها الاحنف في شعره فهي الفخر والمدح والهجاء والرثاء والغزل والوصف والعزلة الغربة والشكوى والزهد والكدية والحكمه وحين ننظر في هذه الاغراض نجدات مثل ما عرفه الشعر العربي في اصولها المختلفة ولكن النظر لأغراض شعره تجعلنا نقول اننا نحن في فخره مدحه وجاءه ورثاؤه وغسله مجهونه لم او يبدع سواء من حيث الصياغة الف ومن حيث المعاني والافكار وهو في هذا الجانب دون شعراء عصر الكبار ولا يمكن ان يقارن بهم [1]

[1] شعراء النزعة الشعبية في العصر العباسي ، ص ٦٤

الفخر

طرق الاحنف باب الفخر بذاته بما امتاز به من صفات وقيم خلقيه جعلته قادره على مواجهه الغربة ومقارنه صرف الدهر التي ناصبته العداوة والشحنة وقد اتاحت له تلك الخصال المقدرة على المتلائم والعيش في زمن اتصف اهله بالشحن للأخلاق والاعراض من طلب المحامد والكريم الافعال وهو في فخره رجل لا يقيم على ضيم ولا يرضاه فصيح للسان اسير الكلام

واني وان اصبحت في دار غربه وحيدا ومالي ناصر وعشير

ولا تتخطأن الهموم ولا ارى مجيرا ولا يأوي الى مجير

فما انا ممن يملا الامر قلبه لعلمي بان الدائرات تدور

والاحنف رجل لا يتبع عيوب الناس ولا يتقصى مثالجهم يتعرض له بالسوء وهو يؤدي للآخرين وجباتهم وحقوقهم ولا يتوانى في ذلك لان طباعه طباعة الرجل حر الشريف

واعرضت عن سقطات الرجال لكي يعرض الناس عن زلتي

وطالبات نفسي بالواجبات. عليها لغيري فيلم اعتدت

ويرى الأحنف على من ينتقد فقره وسوء حاله ، ومناكدة. الدهر له بأن ذلك من سمات كل من هو عظيم الشأن بعيد الهمة ،واسع الخطر ويقارن نفسه بالبحر الذي لا تفسده الجيف [1]

[1] شعراء النزعة الشعبية في العصر العباسي ، ص٦٦

المديح :-

وإذا كان الأحنف مثلا في فخره، فهو كذلك في مديحه، إذ كان زاهداً في المديح لقناعته أن أهل عصره من سكان المدن، لم تعد تجتذبهم فضائل الثناء، ولا تغريهم قصائد الإطراء والتمجيد، ولهذا آثر أن يعيش في فقر وفاقة، دون أن يتعرض لهم بشعره، ليكسب بذلك قوته منهم :

قالوا: أسأل الناس بالمديح فما لذة غش لمن طوى كمدا

تراك من فاقة على تلف. تضمر ضرا، وتظهر الجلدا

اما ترى الناس كثرة كزكا الرمل كثيرا، وقد زكوا عددا

قلت: دعوني أنت على كندي ارى كثيرا، ولا أرى أحدا

ومن وحي هذه القناعة اقتصر شعر المديح لدى الأحنف على عدد محدود من الأفراد، الذين قامت بينه وبينهم مودة خاصة، نابعة من الإعجاب والمودة، والاعتراف بالمكانة، ورد الجميل الذي كانوا يصنعونه له في الشدائد والصعوبات وقد خص الأخلف أبا عبد الله بن بطة المحدث العكبري بأكثر من قصيدته، كان يستهلها بمقدمة شاكية وسهلة .

ولم نلمح في مديح الأحنف ما يخص به الخلفاء أو كبار الولاء، ويبدو أن العاهة أبعدته عن قصور الخلفاء، ومجالس الولاة والأمراء، مما أضعف شعره المدحي، إذ لم نجد فيه معنى مبتكراً وصورة خلاقة، مما جعل باعه في فن المديح قصيرة، إذ لا يمكن أن يجاري في هذا الميدان الكثير من أقرانه وشعراء عصره. على أن الأحنف، وإن يكن بعيداً عن الصفوة من أهل عصره، فقد مدح بعض الكتاب والحجاب، ومن ذلك قصيدته في مدح أبي مسلم محمد بن الأصبهاني الحاجب، وفيها حن إلى أيام الصبا والشباب، وذكر بعض التجارب على سبيلا لعظة والتذكير، وافتخر بذاته قبل أن يمدح أبا مسلم [1] .

[1] شعراء النزعة الشعبية في العصر العباسي ، ص ٧٠

الحكمـة :

لاشك أن امتداد العمر بالأحنف قد أغنى تجربته في الحياة، وعمق من ذلك انتقاله بين البلدان والأمصار، ومخالطته العديد من البيئات الاجتماعية والشرائح الشعبية المختلفة، فإذا أضفنا إلى ذلك رؤيته الفكرية لما يجري من حوله، وتعليله لطبائع الناس واختباره أخلاقهم، ومعاملاتهم يمكن أن نستخلص من ذلك كله أن الأحنف امتلك تجربة واسعة في شؤون الحياة والناس، وهي تجربة مرت بأطوار متباينة في خصوصيتها وذاتيتها، وما أحاط بها من تشاؤم، وفقدان الثقة بالآخرين، واليأس من إصلاح طباعهم التي رأى الأحنف فيها انحرافاً، وتجافياً عن القيم الإيجابية، والخصال الحميدة، التي تدل على علو الهمم، وتماسك المجتمع، وتعاون أفراده، وتعاضدهم في السراء والضراء. ويعد شعر الحكمة من أوسع الأغراض التي تناولها الأحنف في قصائده، إذا كان يطرق باب الحكمة، ويسدي النصيحة، ويعبر عن وجهة نظره وخبرته فيما تكن النفوس، وما تكون عليه من طبائع يناقض ظاهرها ما تخفي، فيقول :-

وما كل القلوب شققت عنها فـان لـك الصحيح من المريب

ولكـن العيون تشـف عما ثـواري الحجب من غش القلوب

ولـــم أر كالعيـون أدل شـيء وأكشـف عـن خفيات العيوب

وقد لخص الأحنف في شعره تجاربه ومشاهداته، وتغير الناس من حوله ، وتقلبات الأيام ، وصروف الليالي، وعجائب الزمان التي ترفع من هذا حيناً، وتحط من شأنه أحياناً، فيقول :-

كـم رأينـا مـن رفـيع. خط من بعد انتصاب

وحقير ضرب الدهر عليه في حجاب

مـا علـى الأيـام عـب فـي مجـيء وذهـاب [1]

[1] شعراء النزعة الشعبية في العصر العباسي ، ص ٧٩

شكوى الحال :

شكا الأحنف العاهة والبؤس وكساد الأدب، وتبدل الأخلاق، وانحراف القيم،

وكثيراً ما كان يشكو سوء حاله وقلة حيلته فيقول :-

إنـي تفكرت في حرفي على أدبي وكـل شـيء له علـم وتسبيب

وجدت حظي من الدنيا وزينتها وكل شـيء فمكتوب ومحسوب

أقـل مـن حظ قرد في وقاحته والقـرد ذو ذنـب والقرد مقبوب

ويشكو جوعه وعريه، وبؤس منزله فيقول :-

سهرت ومـا مثلـي ينام ويرقد وفـي القلـب منـي جمرة تتوقد

سهرت، ولم أطعم من الغمض وكيف هجوعي، والحشا ليس يبرد

وذاك لأنـي سـاكن في غريفة وأفردت فيـها، والغريب يقـرد

ويصف ليله الطويل ومعاناته الشديدة مع زمهرير الشتاء القارس والبراغيث التي تلسع جسده، فلا تدعه يرقد أو ينام فيقول :-

برد الشتـاء معذب يشـقى بـه الرجل الفقير

ونـهاره يـوم قصيـر. وخـل وريـخ قاتـل

ليـل الشتاء هو الممات وفـي صبيحته النشـور [1]

[1] شعراء النزعة الشعبية في العصر العباسي ، ص٨٣

ذم الزمان: (النقد الاجتماعي)

صب العكبري نقداً شديداً على عصره، وأهل زمانه مشيراً إلى فساد القيم، وغياب المكارم، وانحطاط منزلة الأدب ومكانة الأدباء فقال :-

زهد الناس في العلو م، وفي الشعر والادب

صار الغلاة سالاً فهو نكس قد انقلب

كل ما كان في الدماغ صار في الذئب

وقد كان الأحنف وغيره من الأدباء ضحية هذه التحولات، التي طالت قيم المجتمع وأخلاق الناس، حيث غابت المروءة وقل الصدق، وشاعت الأنانية، وسادت بين الناس مظاهر الخديعة والتلون والرياء فيقول :-

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب والناس بين مخادع وموارب

يبدون بينهم المودة والصفا وقلوبهم محشوة بعقارب

ويعاني الأحنف كغيره من شعراء عصره، من صعوبة التواصل والتعامل مع اهل زمانه، بسبب الاحتكام إلى نزعات الأهواء، وغياب المنطق والمعايير الموضوعية، وهوان الهمم، وانهيار القيم فيقول :-

ينافقك الصديق وفيه مكر ويبدي ظاهراً مقة وسمتا

فاكثر من ترى يشكو صديقا وما عاداك إلا من عرفنا [1]

[1] شعراء النزعة الشعبية في العصر العباسي ، ص ٨٦

المبحث الثاني

الدراسة الفنية للشاعر

الألفاظ المستخدمة

الصورة المبنية

المبحث الثاني

١-الالفاظ

إنَّ ألفاظ الأحنفِ في شعره كانت سهلة أسلوبه واضحًا مباشرًا، خاليًا من ثقيل الصنعة إلا قليلا ، فهو شاعرُ كديةٍ من طبقةٍ مرذولة في عصره، وهذا دأب شعراء الهزل والكدية والهجاء في الشعر ، وهو الميلُ إلى السهولة والمباشرَةِ دون تكلّفِ عناية بالشعر، لأنّهم يخاطبون العامة من النّاسِ، فكأنّهم اتَّخذوا الشَّعرَ وسيلةً لبثّ أفكارهم، وليس همهم الشعر نفسه، فمثلًا يقولُ في الحكمة الممزوجة بألم الفقر مع ان فقر النفس اثقل من الفقر المادي [١]

يكره الموتَ أناسٌ جهلوا علم ما يوجبه شرح الحجج [٢][الرَّمَل]

أنسوا بالعيش والعيش فنا يُخرِج الإنسانَ من حيثُ ولج

كرهوا الفقر وفي الفقرِ غنى ثم خافوا الموت والموتُ الفرج

الأبيات من بحر الرّمل، عروضها محذوفة (شفنا فعلا) وضربها محذوفة (ولج=فعلا). [٣]

يقولُ إنَّ النّاسَ يكرهون الموتَ والفقر ويحبّونَ العيش لجهلهم، فهم يجهلون أنَّ العيش فانٍ وأنَّ الفقر راحةً وغنى عن عبث الدّنيا ولهوها، وأنّ الموتَ فرجٌ يُخرِجُ النَّفْسَ من ضيق الدنيا وما فيها من الظلم، على سهولة ألفاظه ووضوحها تجد في الأبيات استعمالا للطِّباق وهو محسّن لفظي بديعي، ويعني أن يذكرَ الشَّاعرُ معنى ويأتي بضده، وجاء ذلك في قوله (يخرج الإنسان من حيثُ ولج) إذ ذكر (يخرج) يفيد معنى الخروج، وذكر (ولج) يفيد معنى الولوج وهو الدخول. فالانسان يعود الى الارض التي خلق منها (يخرج ،ولج) كذلك صنع في ثنائية (الفقر، الغنى) و(الموت،الفرج) بمعنى الخلاص والنجاة و(العيش و الغناء) هي لازمة البقاء في ثنائية (الموت و الحياة)

---

[١] يتيمة الدهر، الثعالبي : ١٣٧

[٢] ديوان الشاعر

[٣] يُنظر : التسهيل لعلوم البلاغة: ١٤٢

وكذلك في قوله (وفي الفقر غني والفقرُ ضدُّ الغنى. كما عمد إلى الأسلوب الحواري الداخلي لبيان الاسباب الموجبة السؤال من الناس

- **لائم لامني، فطال التعدي * لم يرد بالملام – إذ لام – رشدي –** [1]
- **قال لي أنت فيلسوف أديب * شاعر حاذق بحل وعقد -**
- **هات قل لي، ولا تقل قول زور * لم تكدي؟ فقلت من ضعف جدي –**
- **قد طلبت الغنى بكل ارتياد * واحتيال ما بين هزل وجد -**
- **فأبى الله أن أكون غنيا * ما احتيالي والنحس يطرد سعدي –**
- **غير أني لما طلبت فلم أظفر * بشئ، وضعت للدهر خدي**

الأبيات من بحر الخفيف عروضها تامة لتتعددي = فاعلاتن) وضربها تامة (لام رشدي=فاعلاتن). [2] في ابياته دعوة صريحة لكف اللوم عنه، عبر حوار دار بينه وبين المجهول الهوية، حين يعدد مسالك الرزق التي يسعى فيها ، بتوظيف الصيغ المشتقة ارتياد ، احتيال .... قصد المبالغة في المعنى، كما انه لا يترك مجال حين يجمع بين الهزل والجد الا مسلكه،لذلك ما يكون أمامه إلا الكدية. ولم يقتصر الأمر عند العكبري على الجانب المادي فحسب، بل يتجاوزه إلى الجانب الحسي كالافتقار إلى الأسرة والاستقرار الذي افتقده، فكيف تنال أحقر المخلوقات وأصغرها ما لم يناله، ينشد الأحنف العكبري في ذلك:

العنكبوت بنت بيتا على وهن تأوى إليه ومالي مثلها وطن. [3]

والخنفساء لها من جنسها سكن وليس لي مثلها إلف ولا سكن

الأبيات من بحر البسيط، عروضها تامة مخبونة وهنن=فعلن) وضربها مثلها (وطنن=فعلن). يتجلى من خلال هذين البيتين براعة الشاعر في الإيجاز، والتدقيق في الوصف، فقد افتقد بيتا بالمعنى المادي والذي تحظى به العنكبوت رغم وهنها، ولم يحظ بالأليف والأسرة، وهما موجودان عند الخنفساء، ولأن العنكبوت الأنثى تقتل الذكر بعد التزاوج فتبقى وحيدة بلا أسرة، عمد إلى الخنفساء (وهي من أصغر الحشرات التي تحظى بالدف) لتكون هذه المخلوقات رمزا يحيلونا من خلاله إلى أحلامه .

وهو يستدل قوله تعالى **" مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ (١) اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " (سورة العنكبوت : آية ٤١)** [4]

---

[1] ديوان الشاعر

[2] ينظر : التسهيل لعلوم البلاغة

[3] ديوان الشاعر

[4] القران الكريم سورة العنكبوت آية ٤١

لذلك ضربت العنكبوت مثلا في الوهن والضعف؛ فدل بوهن بيته على وهن خلقه ، ولا أوهن مما ذكر الله أنه أوهن البيوت. وقال الأحنف " العكبري :-

وهنا اخذ دلالة وهن بيت العنكبوت للدلالة على وهن الحياة وضعفها وانها لا تدوم على حال واحدة فهي كبيت العنكبوت صار قصيدة لكل راغب متعلق فيها على عكس من ترك ملذاتها فهو الفائز والناجي من مصائبها[1]

فيقولُ بعد كل ما عاناه من فقر وألم وغربة أبيات يبث فيها ضجره ومله مما حوله، فيقول:

حسبي ضجرت من الأدب	**ورأيته سبب العطب** [3]
وهجرت اعراب الكلا م	**وما حفظت من الخطب**
ونسيت أخبار الزبير	**وما رواه من النسب**
وتركت تفسير المعاني .	**وهو ديوان العرب**
ورهنت ديوان النقائض	**واسترحت من التعب**
لا تعجبي يا هند من.	**قولي فما فيه عجب**
إن الزمان بمن تق	**دم في النباهة منقلب**

الأبيات من بحر مجزوء الكامل وهي تامة العروض (تُمنلأدب=متفاعلن) وتامة

الضرب (سببلعطب=متفاعلن)

فهو يعلن ضجره وماله واكتفاه من الادب وكانه صار سلعة تقتني معللا ذلك باب (الادب سبب العطب) كما يرى , تاركا كل متعلق بالادب والثقافة واللغة والاخبار والفنون فهو هجر (اعراب الكلام , الخطب ,الانساب , التفسير اللغوي ,الشعر) وهو يعطي صورة للمثقف البائس لما ذكر من علوم ومعارف يتقنها لانها ضياعه فجور الزمان يكون على من يتمتع بالفطنة والذكاء بدليل قوله (ان الزمان بمن تقدم في النباهة منقلب) وهذا حال الدنيا دائما فتكرر صورة الفقر والبؤس الملازمة للمثقف والمفكر على عكس غيرهم من شخوص.

---

[1] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، الثعالبي

[3] ديوان الشاعر

٢-الصور المبنية

الصورة في الشعر تعني لجوء الشاعرِ إلى تصوير معنى قريبٍ من المعنى الذي يريده في نفسه بألفاظ قد تكون بعيدة عن ذلك المعنى، فمثلا قول امرئ القيس في صاحبته "نؤومُ الضّحى" مراده أنها أمرأةٌ ذاتُ دَلَّ ونعيمٍ، ولها مَن يقومُ بأعمالها، وأجادَ في التعبير عن هذا المعنى بلفظين بعيدين عنه وهما (نؤوم) يعني كثير النّوم و (الضحى) وقت الضحى [١]والصور الشُّعرِيَةُ عند البلاغيّينَ أقسام، هي: الصور التشبيهية، والتشبيه هو "الدّلالة على مشاركة أمر لأخر في معنى بإحدى أدوات التشبيه، كما نقول: محمد كالأسد شجاعةً، فالأمر الأول في هذا المثال هو "محمد". وهو المشبه والأمر الثاني هو "الأسد" وهو المشبه به وأداة التشبيه هنا الكاف والمعنى المرتبط بالأمرين المشبه والمشبه به هو" اللفظ الشجاعة وتعرف بوجه الشبه [٢]والصور الاستعارية والاستعارة هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي [٣] ،والكناية هي " أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه[٤].

[البسيط] ومن التصوير في شعر الأحنف ما ورد في قوله: [البسيط]

أُريتُ في النَّومِ دنيانا مزيَّنةً مثل العروس مشت بين المقاصير

قد حُلّيت وهي تبكي في تأوّهها بكل معتقد عن سوء تأثير

تومي إلى كلّ حرّ أنّها طويت على مكارهه طي الطوامير

فقلت جودي لي وقد حسرت إذا تخلصت من أيدي الخنازير

الأبيات من بحر البسيط، وقد جاءت عروضها مخبونةً (حسرت= فعلن) وضربها فقلتُ مقطوعة (زيري=فاعل).

---

[١] يُنظر : دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني: ٢٦٢

[٢] علم البيان، بسيوني عبد الفتاح: ص١٧.

[٣] المصدر نفسه: ١٣٩.

[٤] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٦٦.

أرادَ في الأبياتِ ذم زمانِه لما فيه من المكاره التي لا يرتضيها الحر حياةً، واستخدم في ذلك صورتين بلاغيتين، الصورة التشبيهية في قوله (مثل العروس)، والصورة الاستعارية في قوله (تومي إلى كلّ حرّ إذ أستعار صفةً من صفات المشبَّه به دون التصريح وذكر المشبه وهي الدّنيا ومثل هذه الاستعارة تسمّى الاستعارة المكنيّة والشّاعرُ استعار صفة الإنسان وجعلها للدنيا كما في قوله (تومي، وقالت..)، والصورة الاستعارية الأخرى في قوله (إذا تخلصت من أيدي الخنازير) إذ ذكر المشبه به وهو (الخنازير) وحذف المشبه وهو (الناس) وهو يريد الظلمة من الناس شبههم بالخنازير ، وهذه تسمى الاستعارة التصريحية ، لقد أبدع في تصوير الدنيا، حين جسدها في هيئة عروس، حاورها ليظهر عبر جوابها العجل سخطه على ما هو فيه، ويقدح في السلطة حتى يمثلها بالخنازير، وقد عمد على الثقافة السالمية في تشبيهه، فقد شبه المتأثرين بالأموال والجاه بالخنزير وهو أكثر الحيوانات كراهة ونبذا حسب ما ورد في الشريعة الاسلامية العربية الثقافية [1] ومن التصوير في قوله متعجّبًا من أحوال الدنيا وصروفها: [البسيط]

والرزق ممتهن بحكمة خالق — من أربع قيلت حذاها أربع

فالنَّحسُ يخفضُ والسعادة ترفع — سعد ونحس دائبانِ بحكمة

قد تعجز الرجل الحيول مطالبٌ — يحظى بأفضلها الجبانُ الخروعُ

عتبي على الأيام جهل محكم — عتبٌ يضيعُ ورقية ما تنفعُ

صمتي على غصص المكاره — صمت أمري متطارش ما يسمع

أعجب الدنيا وأطرف أمرها — حيَّ يموتُ ونطفةٌ تُستَودَعُ

فمن بديع الاستعارة قوله (والأفعوان سكوته لدهائه ولقد يغافص بالنقيق الضفدع) شبه الرجل الداهية الحكيم بالأفاعي في لطفها وسكوتها ، فالحكيمُ لا يطلقُ كلامه عبثًا، وإنَّما ينظرُ في الكلمة ممعنًا قبل أن يفوه بها ، لذلك تراه كثير الصَمتِ قليل الكلامِ وشبّة الجاهل الأحمق بالضّفدع في نقنقته، إذ الجاهلُ يطيلُ الكلام بلا طائل. [2]

---

[1] التسهيل لعلوم البلاغة ، المعاني والبيان والبديع ، د. زكريا توناني

[2] دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني

ثمّ أستعمل طباق الإيجاب في تعجبه من تصاريف الدنيا وأحوالها في قوله (هذا يموت وذاك يُولّد) وقوله (الموت) يحصد والمهيمن يزرع وقد استعار للموتِ صفةً من صفات الإنسان فالاستعارة هنا مكنية. والأبيات من بحر الكامل تامة العروض (مة خالقن = متفاعلن) وضربها صحيح مضمر (ها أربعو = متفاعلن).

وله أبيات في الحكمة ضمنها أحد المحسنات المعنوية البديعية وهو الطباق،

قال فيها:

من يصحب الدهر يبصر من تقلبه أشياء أصغرها يأتي على العجب[1]

من يسلم الناس من فيه ومن يده يصحب من الدهر عيشا مصطحب

من يفعل الخير لا يلقى سواه كما من يفعل الشر يلق الشر العقب

من يُكرم الناسَ يُكْرَمْ أَو يُهِنَّ أَحدا يُهَنْ ومن لم يَهَبْ أكفاه لم يُهَبِ

من يكسب المال يصحبه البعيد كما من يعدم المال يصرمه ذوو القرب

من يجعل العجب خدنا ال يفارقه فما يمتعه شيء سوى العجب

من يصحب البغي يصرعه مصاحبه لصاحب البغي يوم شر ينقلب

من يكسب المال في الدنيا ليكنزه فذاك في تعب يفضي إلى تعب

الأبيات من بحر البسيط وهي مخبونة العروض والضرب (لُبِهي=فعلن) (عجبي=فعلن) وقد عمد في أبياته إلى أسلوب الشَّرطِ في الوعظ ليبيَّن أنّ لكل فعل جزاؤه، فإن كانَ خيرا جزيَ بالخير وإن كانَ شرًّا جُزي به، ولعله أقتبس هذه المعاني بهذه الصياغة من زهير بن أبي سلمى [1]

[1] ينظر : ديوان الشاعر

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين لا أبا لك يسأمِ [1] [الطويل]

رأيتُ المنايا خبط عشواء من تصب تُمته ومن تخطِ المنيّةُ يهرم

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يُضَرَّس بأنياب ويوطأ بمنسمِ

ومن يجعل المعروف من دون يفره ومن لا يتَّقِ الشَّتَمَ يُشْتَمِ

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام اسباب السّماءَ بِسلَّمِ

فهو يشير على ذات النهج ولسان حاله ينطق بالحكمة القادمة عبر التاريخ وكأنه يتحدث بلسان زهير ويردد حكمه الاجتماعية المؤسسة للواقع الاجتماعي والثقافي ومن أبياتٍ له يذكرُ فيها حاله من الخيبةِ واليأس وحالَ النّاسِ من الخيانة والغدر، وهو يحلف على ذلك بالأنبياء والأولياء ولم يكن في قوله مصيبا الحقَّ، فإن قدّر له أن يعيش مع أناس ليسوا بأوفياء ليس يعني أن لا يوجد في النَّاسِ وفي، فيقول:

خذوا خطي وميثاقي وعهدي وحلفي بالنّبي وبالمسيح [2] [الوافر]

وموسى والذِّبيح ومَن تلاه من الأحبار من بعدِ الذِّبيح

بِأَنّيَ ما وجدتُ أَخًا وفيًّا يصاحبُني على ودٍ صحيح

إذا أفلستُ أعرضَ أو تجنّى وإن أيسرتُ قال أخي وروحي

يودك في زمانك ذا صديق يريدك للغبوق وللصبوح

الأبيات من بحر الوافر عروضها محذوفة وعهدي فعولن) وضربها محذوفة (مسيحي=فعولن).

[1] الديوان : العصر الجاهلي معلقة زهير بن ابي سلمى ، عمودية ، البحر الطويل : قافية الميم

[2] ديوان الشاعر

ومن الكناية فيها قوله (النبي، والمسيح، والذبيح) حيث ذكر صفات هؤلاء الأنبياء دون أن يصرح بأسمائهم [1]

فبالنبي يريد محمدا "صلى الله علية وآله" وبالمسيح يريد عيسى بن مريم "عليهما السلام" وبالذبيح يريد يحيى بن زكريا "عليهما السلام" ومن الطباق قوله (أفلست -أيسرت) حيث جاء بمعنيين ضدين، وهو طباق إيجاب. وفي قوله (وأوقات الشدائد انت منه مكان الطفل ومن ظهر الجموح) فيه تشبيه بليغ حيث حذف أداة التشبيه ووجه الشبه والمعنى أن هذا الصديق لا يرى وقت شدة صاحبه وليس له مكان ولا محضر فكأنه لم يعرف صاحبه أبدا ، فشبهه بمكان الطفل من ظهر الحصان الجموح ،فليس للطفل على ظهر ذلك الحصان مكان ، وليس له به عهد ولا اليه مقترب فهو يعقد الايمان بكل الانبياء والرسالات متيقنا بان لا ود يدوم ولا صديق يبقى وانما هي مصالح تنتهي اذا اصاب الانسان الفقر وهذا ما كان يعانيه الشاعر من قلة اصحابه كونه فقير معدم لا يملك من متاع الدنيا وخيراتها وما يجعله منبوذا في المجتمع المادي وهو استعان بالطباق والجناس لرسم صورة حزينة باكية الواقع الأليم بنيت فيه العلاقات الانسانية على اسس مادية .

[1] ينظر : ديوان الشاعر

لخاتمة

بعد ان انتهت رحلة البحث في نتاج الاحنف العكبري ودراسة موضوعة النقد الاجتماعي لواقع العصر العباسي توصلت الى نتائج منها :

١-ان الفاظ الاحنف في شعره كامت سهلة واضحة بعيده عن التعقيد اللغوي والتقعر للفظي لانه اراد ان يكون شعره نابعا من واقعه بعيدا عن المغالاة والتصنع بلسان حال مجتمعه

٢-كان شعر الاحنف بعيد عن الصنعة البلاغية المتكلفة الا ما ورد عفو الخاطر

٣-تنوعت الاغراض الشعرية التي قال فيها الشاعر مثل (الفخر و المديح والحكمة وشكوى الحال وذم الزمان) وتركزت الدراسة على ميدان نقد الواقع الاجتماعي

٤- استخدم الفنون البلاغية الواضحة السهلة البعيدة عن التعقيد التصويري خاصة (الطباق ، الجناس) لانها الاقرب لبيان الحال الاجتماعية المتردية وكذلك استخدامه لفن التشبيه

٥- استعان بالاستعارة والتناص الديني خاصة في تجسيد الصور الفنية وما يشير الى ثقافته العالية وقدرته على توظيف تلك الثقافة بإنتاجه الشعري

٦- استخدم الاحنف العكبري مجزوء البحور لانها الاقرب الى ايقاع التنغيم الموسيقي الذي يعتمد على السرعة الايقاعية البلاغية لسرعة بيان الافكار والمعاني والصور .

المراجع والمصادر

١- اسلام اون لاين – المصدر الالكتروني – الدولة العباسية
٢- احمد حسين ، ادب الكدية في العصر العباسي ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ،سوريا
٣- ادب الكدية في العصر العباسي ، قضايا الادب ، المجلد الرابع / العدد الاول
٤- ادب الكدية في العصر العباسي ، قضايا الادب ، المجلد الرابع / العدد الاول
٥- المصدر الالكتروني – الحياة الاقتصادية في العصر العباسي – روان بني مصطفى
٦- السخرية في شعر الأحنف العكبري ، ط ٢٠١٩م ,١٤٤٤هـ ، ط جامعة القادسية
٧- التسهيل لعلوم البلاغة : ١٤٢ ، ط٢٠١٠ ، بلد الطباعة (لبنان) ، ط الاولى
٨- تاريخ بغداد : ٣٧١/١٠ ، البداية والنهاية ٣٢١/١١ ، طبقات الحنابلة ١٤٤/٢
٩- تاريخ الاسلام : ٣/٤٢٣
١٠- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، الثعالبي – كتاب الوراق ,مطبعة المعارف ، دار الناشر : دار المعارف , ١٩٨٥
١١- جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، مراجعة د. شوقي ضيف، طبعة دار الهلال ،ج٢
١٢- جمهرة انساب العرب ، لابن حزم الاندلسي ، دار المعارف ،مصر سنة ١٩٦٢
١٣- ديوان الأحنف العكبري ، جمع الحسن بن شهاب العكبري ، تحقيق : سلطان بن سعيد السلطان ، ط الأولى سنة ١٩٩٩ م
١٤- ديوان : ١٠٧
١٥- ديوان : العصر الجاهلي معلقة زهير بن ابي سلمى ، عمودية ، البحر الطويل : قافية الميم
١٦- دلائل الاعجاز – عبد القاهر الجرجاني : ٢٦٢ ، مكتبة الاسرة، ٢٠٠٠
١٧- شوقي الضيف – العصر العباسي – الناشر دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل
١٨- شعراء النزعة الشعبية في العصر العباسي ، احمد الحسين ، دمشق ،٢٠٠٥
١٩- علم البيان ، بسيوني عبد الفتاح . ط الثانية ، مؤسسة المختار الثانية ،٢٠٠٤
٢٠- عبد الهادي حرب ، موسوعة ادب المحتالين ، ٥٣٥هـ
٢١- لسان العرب لابن المنظور ،ط دار صادر – بيروت ،ج٩ ، (مادة الحنف)
٢٢- يتيمة الدهر للثعالبي ، تحقيق : أ/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ط الثانية ١٩٧٣ م ، ١٧٧/٣